الماء وأثره فى التراث الحضارى فى إيـــران

مع ترجمة منتخبات من كتاب
آيين ورسمهاى ايرانيان باستان بر بنياد شاهنامه فردوسى
تاليف : عليقلى اعتماد مقدم

رسالة مقدمه من

امنيـه عبد المطلب بـدوى
المعيده بقسم اللغات الشرقية الإسلامية
شعبة اللغة الفارسية
كلية الألسن

للحصول على درجة
الماجستير فى الحضارة الإيرانية

إشراف
الأستاذ الدكتور
عبد النعيم محمد حسنين
أستاذ اللغة الفارسية وآدابها
كلية الآداب – جامعة عين شمس

١٩٩٢

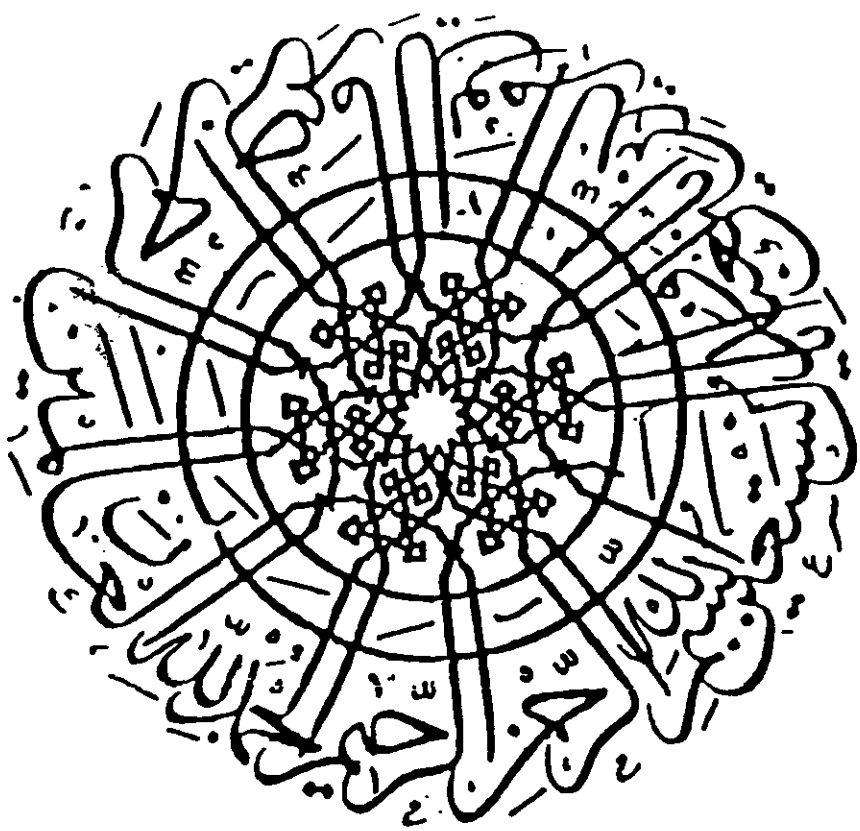

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

صدق الله العظيم

سورة البقرة آية (٣٢)

إهـــداء

إلى روح أبي التي أشرقت في سماء دَربي
وباركت خُطواتي وإستثارت الهمم في نفسي
فكانت الثمرة التي جنتها هذا البحث
الذي بين أيديكم.
وإلي أمي التي تدفق عطاؤها وفاض حنانها
فإنعكس جُهداً يُبذل وثمرة تُجنى.

شـــكر وتقديـــر

الشكر أولا لله تعالى على عديد آلائه التى لاتحصى ، ومننه التى لاتحاط ، وما أوتيته على علم عندى بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

شكراً لأبي ، البسمة الدؤوب التى كانت تحلق فى مخيلتى كلما أمسكت بالقلم أو رحت أبحث عن أحد المراجع أو أقرأ أحد البحوث ... فلقد خلقت أمنياته أمنياتى وغذت رغباته رغباتى وأنارت شموع كلماته سبيلى ، اسأل الله له الرحمة وحسن المثوى .

شكراً لأمي ، نهر العطاء المتدفق ومعين الحب الذى لاينضب وزهرة الإلهام التى يفوح عبيرها فكراً وجهداً وعملاً ... أبقاها الله وحفظها من كل سوء .

شكراً للأستاذ الدكتور / عبد النعيم حسنين ، الذى أنعكس علمه الغزير وفكره الكثير على صفحات هذا البحث فكان اشرافه عليه إمداداً بالمزيد من العلم وإضفاء للكثير من الفكر.

شكراً للأستاذ الدكتور / محمد نور الدين عبد المنعم ، والأستاذ الدكتور/ بديع محمد جمعه ، لتفضلهما بالموافقة على مناقشة هذا البحث وبذلهما الوقت والجهد لقراءته وتصويبه ، واسأل الله أن ينفعنى بعلمهما.

شكراً للأستاذ الدكتور/ محمد السعيد عبد المؤمن ، الذى لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً فى إسباغ عطائه العلمى على من يطلبه ، فكان بمثابة هدى يسترشد به الباحثون وسراجاً يضىء الطريق أمامهم .

شكرا للدكتورة / شيرين عبد النعميم حسنين ، أتوجه لها بالشكر والإمتنان العميق ، كما أقدر بإعتزاز مشاعرها الفياضة التى أحاطتنى بها، وعلمها الذى نفعتنى به .

شكراً للدكتورة / ثريا محمد على ، التى لاتضن بعلم لديها ولاتستأثر بفكرة هى من إبداعها بل إنها كالزهرة زكية الرائحة يستنشق عبيرها الجميع.

شكرا للدكتور/ محمد صوفى محمد حسن، وهو الذى يفيض بما عنده من غير أن يسأله ، ويجود بعلمه وبفكره بسعة لاتعرف القيود وبعطاء لايعرف الحدود .

الشكر لزوجى ، لتعاونه البناء وتفهمه المطلق وتقديره المتأنى لجميع الظروف المحيطة بالباحثة، فكأنه الجسر الذى كان يصل بين الباحثة وثمرة عملها .. فله جزيل الشكر والتقدير .

شكراً لأخى أحمد ، حيث لم يتوان فى بذل مساعداته وترك بصماته التى لايمحى أثرها .

وأتوجه بالشكر كذلك لكل من ساهم بمساعدة أو نصح فى هذه الرسالة .

والله يجزى الجميع عنى خير الجزاء .

الباحثـــة

فهرس المحتويات

الصفحة

المقدمة ١

تمهـــيد ٥

الفصل الأول : المعنوى اللغوى لكلمة آب و مدلولاتها عند الإيرانيين ١٦

المدلولات اللغوية للماء ١٨

المدلولات الكيمائية للماء ٢٧

المدلولات الجغرافية للماء ٣٠

المدلولات الفلسفية للماء ٣٣

المدلولات العقائدية للماء ٣٤

المدلولات الاجتماعية للماء ٣٩

المدلولات البلاغية للماء ٤١

الفصل الثانى : أثر ندرة الماء فى الناحية الدينية عند الإيرانيين ٥٦

الديانة الايرانية ٥٦

الديانة الزردشتيه ٦٢

حياة زردشت ٦٥

ديانة زردشت ٦٨

الماء فى العقيدة الزردشتيه ٧٦

الماء والزراعة ٨٧

الاهتمام بالماشية ٩٥

الفصل الثالث : أثر ندرة الماء على الحضارة المادية عند الإيرانيين ١٠٠

الحدائق الفارسية ١٠٦

الفصل الرابع : أثر ندرة الماء فى النواحى الإجتماعية عند الايرانيين ١١٦

أيام الشهر ١٢٤

الأعياد ١٢٦

الفصل الخامس : أثر ندرة الماء على الأسطورة الإيرانية ١٤٤

الصفحة

الأسطورة الدينية ١٤٦
أسطورة خلق العالم ١٤٧
أسطورة ميلاد زرادشت ١٤٩
أسطورة بنت المياه ١٥١
أسطورة ملاك المطر وعفريت الجفاف ١٥٢
الفصل السادس : اثر ندرة الماء على الشعر والمثل الايرانى ١٥٦
الماءوالأمثال الإيرانية ١٦٨
خاتمة ١٩٨
ترجمة منتخبات من كتاب آيين ورسمهاى ايرانيان باستان بر بنياد
شاهنامه فردوسى ٢٠٣
المراجع ٢٨٣

المقدمـــة

يعتبر الماء أهم عناصر الطبيعة ، وهو المورد الأساسي الذي تقوم عليه الحياة في أى مجتمع من المجتمعات ، ليست حياة الأفراد فقط بل وحياة النبات والحيوان اللذين يعتبران من العناصر الهامة لغذاء الانسان وخدمته .

وتدلنا الخبرة التاريخية على الأهمية الاستراتيجية لذلك المورد ، وهي تجلي أمامنا خطورة الدور الذي لعبه في تشكيل أبعاد شخصية المجتمع من ناحية ، وفي تشكيل علاقاته الخارجية من ناحية أخرى ، فهناك من المجتمعات من عانى من مشاكل عديدة على المستوى الداخلي والخارجي كان مردها ندرة هذا العنصر ، كما أن مجتمعات أخرى نشأت حضاراتها وترعرت في ظل وفرته .

والهدف الأساسي من هذا البحث هو القاء الضوء على أثر ندرة هذا المورد في رسم شخصية المجتمع الإيرانى .. فإيران بحكم موقعها الجغرافي والذي اتسم بندرة الماء وكان ذلك سبباً في اضفاء ملامح معينة على شخصية هذا المجتمع بما تتضمنه من عادات وتقاليد وأمثال كذلك كان له انعكاساته على الآداب الفارسية .

والواقع أنه ربما نستطيع أن نجد تفسيراً مناسباً لبعض جوانب السلوك الإجتماعي بمعناه الشامل للفرس من خلال دراسة وبحث أثر هذا العنصر على تكوين هذا السلوك والتحديد الجزئي لمساره ، من ناحية أخرى ربما تناولت العديد من البحوث تحليلاً للشخصية الإيرانية بشكل أو بآخر ، وأشارت إلى وجود ارتباط ما بينها وبين الظواهر الطبيعية المختلفة، إلا إن تتبع هذا الارتباط وتحليل جزئياته بشكل دقيق لفهم أبعاد العلاقة وابراز تفاعلاتها هو ماتفتقر إليه البحوث والدراسات المتعلقة بهذا الموضوع حتى الآن ، فكان هذا دافعاً لي للخوض في هذا المجال لأكون بذلك قد طرقت باباً لم يطرقه أحد من قبل .

وتعتبر الصعوبة الرئيسية في هذا البحث هي قلة الدراسات التي تناولت موضوع الارتباط بين العنصر الطبيعي وشخصية المجتمع على النحو السالف الذكر ، وقد أشرت إلى

هذا من قبل ذلك على الرغم من أهمية هذا النوع من الدراسة في ايجاد تفسير للعديد من الظواهر الإجتماعية والسياسية في المجتمعات المختلفة .

وقد تسببت هذه المشكلة في مضاعفة مجهود الباحثة للحصول على معلومات يرتكز عليها هذا البحث ، ثم محاولة الربط بين هذه المعلومات في إطار الفكرة الأساسية للبحث وهو مايعد أمراً فيه شيىء من الصعوبة ، إلا أن إيمان الباحثة بأهمية هذه الدراسة وجدوى نتيجتها قد لاشى من تلك الصعوبات وسهل المهمة كثيراً .

وقد اتبعت الباحثة المنهج التحليلي النقدي في هذه الدراسة ، واستناداً إلى ذلك المنهج فقد تم تقسيم البحث على النحو التالي :

تمهيـــد

كان لابد في مطلع هذا البحث أن نحيط الظاهرة التي تمثل المصدر الأساسي لموضوع البحث بشيىء من التفصيل ، ولذلك فقد كان من المنطقي أن تبدأ الباحثة بعرض المظاهر الطبيعية التي تميز البيئة الجغرافية لإيران .

وقد تبين من هذا العرض أن هناك مشكلة يعاني منها المجتمع الإيراني وتتمثل في افتقار هذا المجتمع لعنصر الماء وعدم توافره بشكل كبير مما ترك بصماته على التكوين الإجتماعي والثقافي لهذا المجتمع .

الفصل الأول :

بعد أن تبين لنا من الفصل الأول أبعاد مشكلة ندرة المياه في البيئة الطبيعية لإيران، بدأت الباحثة في عرض أول وأبسط ردود الفعل تجاه هذه الظاهرة. فحيث أن اللغة هي ذلك الوعاء الذي تتفاعل فيه جميع أفكار وعادات وثقافات المجتمعات ومنها المجتمع الفارسي ، فإنه يمكن القول أن انعكاس أي ظاهرة في أي مجتمع إنما ينصبّ بادىء ذى بدء في استخدامه اللغوي للألفاظ المرتبطة بشكل جوهري بتلك الظاهرة ، ثم ينتشر بعد ذلك في القنوات المختلفة سواء الإجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو غيرها لهذا المجتمع .

ويعتبر اللفظ المحوري في هذا البحث هو الماء (آب)، وعلى هذا يكون من المنطقي أن نبدأ في هذا الفصل بعرض المعنى اللغوي لكلمة آب ومدلولات هذه الكلمة المتعددة لدى المجتمع الإيراني . والنتيجة التي توصلنا إليها من هذا العرض تؤكد الافتراض الأساسي الذي قام عليه البحث وهو العلاقة الواضحة بين ظاهرة ندرة الماء في المجتمع الفارسي ، وتعظيم هذا المجتمع لذلك العنصر حتى وصل هذا التعظيم إلى درجة التقديس العقائدى .

وتتبلور هذه الحقيقة بشكل أكثر وضوحاً عند استخدام التحليل المقارن لمدلول كلمة الماء في مجتمعات مختلفة حيث أن المجتمع الإيراني قد فاق تلك المجتمعات في اهتمامه بتلك الكلمة ومدلولاتها ، ومدى ثراء المعاني وارتباطها بالقيم الجميلة والثمينة والعظيمة في المجتمع .

وهكذا يتضح لنا أن العلاقة سابقة الذكر قد أخذت بعدها الأولي من خلال لغة المجتمع ، وبحيث أصبحت القضية تستند إلى علاقة مؤكدة ، وليبقى بعد ذلك تحليل انعكاسات هذه العلاقة على التراث الحضاري لهذا المجتمع وهو موضوع الفصول التالية.

الفصل الثاني :

أثر ندرة الماء في الناحية الدينية عند الإيرانيين : وقد اتضح من الدراسة أن عقيدة المجتمع الإيراني وهي ذات تأثير قوي في نفوس أفراد المجتمع قد نادت بتقديس عنصر الماء واعتباره ذا قيمة ثمينة وعظيمة ، وهو مايبدو من اتخاذهم آلهة خاصة بالماء والخصب وتقديسهم بالتالي لكل ماله علاقة بالماء من زرع وحيوان بشكل يسترعي الانتباه .

الفصل الثالث :

أثر ندرة الماء على الحضارة المادية عند الإيرانيين : ولم نستثني من ذلك الحضارة المادية للمجتمع، فقد اتخذت هي الأخرى صوراً تؤكد الحقائق السابقة ، ويتبين

ذلك من أشكال القنوات وعيون الماء وطرق تشييد الحدائق الفارسية التي أصبحت مثار الإعجاب بجمالها وروعتها وتميزها .

الفصل الرابع :

أثر ندرة الماء في النواحي الإجتماعية عند الإيرانيين : فقد كانت هناك العديد من الظواهر الإجتماعية من عادات وتقاليد متبعة ، وكذلك بعض الاحتفالات والأعياد المختلفة ترتبط أساساً بالماء ، ولقد ظل بعض هذه الظواهر منذ القدم وحتى الآن دليلاً راسخاً على تأثر المجتمع الإيراني بعنصر الماء .

وقد كان رد فعل المجتمع إزاء تلك الظاهرة هو الآخر دليلاً مدهشاً على تمسك هذا المجتمع بموقفه تجاه عنصر الماء وتعظيمه له .

الفصل الخامس:

أثر ندرة الماء على الأسطورة الإيرانية : والأساطير الإيرانية في معظمها أصبحت تاريخاً حقيقياً لدى الإيرانيين ، لذا كان لزاماً على الباحثة عرض بعض من هذه الأساطير والتي يعتبر الماء عنصراً جوهرياً فيها ، فكشفت هذه الأساطير عن النظرة الإيرانية للماء ، وعن المكانة التي يحتلها هذا العنصر .

الفصل السادس:

أثر ندرة الماء على الشعر والمثل الإيرانى : ظهر أثر الماء في الشعر الإيراني بصورة واضحة ومعبرة عن مدى جمال هذا العنصر ومكانته لديهم ، تلك المكانة التي ظهرت في صور شعرية بديعة ورائعة، ثم تبدأ آثار تلك الظاهرة في اتخاذ صور تعبيرية تعكسها حضارة المجتمع ، وبعد عرض مجموعة من الأمثال الإيرانية ، وجدت الباحثة أن تلك الصورة لاتخالف فروض البحث ، بل إنها تدعمها وتؤكدها ، فقد اهتم الإيرانيون باظهار عظمة وقيمة الماء في أمثالهم التي تداولوها عبر الزمن والتي نبعتْ من إيمان المجتمع ويقينه بأهمية هذا العنصر .

تمهيـــد

الانسان وليد البيئة التي يعيش على أرضها ويتعامل معها وكذلك الشعوب أسيرة الأرض التي تسكنها، وكما يؤثر الإنسان في البيئة ويحاول الاستفادة من خيرها والتغلب على مشاكلها فإن الظروف البيئية تلعب دورها كذلك في توجيه النشاط البشرى للإنسان وللشعوب التي تسكنها .

ويتمثل الهدف من هذا الجزء في تبيان العلاقة التفاعلية بين الماء كمورد طبيعي ذي أهمية خاصة فى البيئة الفارسية وبين تلك البيئة .

ويكتسب الماء صفته كعنصر هام في البيئة الفارسية نتيجة ماتعانيه تلك البيئة من نقص كبير في هذا المورد كانت له انعكاسات مختلفة على جوانب الحياة وعناصر الحضارة في ايران.

وحتى تتمكن الباحثة من تحديد الدور الفعلي الذي يلعبه هذا المورد فاننا سنقوم بداية بمحاولة لحصر الخصائص التوزيعية والتكوينية لهذا المورد جغرافيا مما يتطلب الإلمام بالتضاريس الجغرافية التي تتميز بها الأرض الإيرانية ، ولذلك فسوف تتناول الباحثة في هذا الجزء عرضاً موجزاً يظهر باختصار أهم الملامح التضاريسية في البيئة الإيرانية والتي كان لها اثر عظيم في افتقار تلك البيئة إلى الماء .

وبهذا يمكننا أن نتوصل إلى دور هذا العنصر في تشكيل خصائص الحضارة الإيرانية، وفيما اضفاه عليها من ملامح ميزها عن غيرها من الحضارات المختلفة وهو ماستتحدث عنه الباحثة في الفصول القادمة بإذن الله .

طبيعـــة إيران التضاريسية

ويمكن ايجازها في الوصف الذي أوردته بعض الكتب :

قال عزيز الله بيات :

" نصف إيران جبلي وربعها خصب وربعها الآخر صحارى يابسة ومالحة ومقفرة "(١)

وقال مسعود كيهان :

" يُعد "أى ايران" نصفها جبلى وربعها خصب وربعها الآخر بحيرات يابسة ومالحة وصحارى مقفرة ".(٢)

ويمكن القول بان إيران واحدة من أيبس بقاع الدنيا ، وسبب هذا الجفاف

أولاً : سلسلة جبال البرز العظيمة التي تحول دون وصول الرياح الشمالية الرطبة .

ثانياً : الرياح الجافة التي تهب من جنوب غرب المملكة العربية السعودية على " صحراء" إيران، وتكثر هذه الرياح في الربيع والصيف" (٣)

وقال دهخدا :

"نصف أرض إيران جبلى ، وربعها صحراء " (٤)

وفيما يلى تفصيل لهذه الطبيعة الجغرافية :

إيران هضبة عالية يبلغ متوسط ارتفاعها اربعة الآف قدم محاطة من معظم جهاتها بسلاسل جبلية تشكل حدوداً طبيعية فاصلة بينها وبين جيرانها الإتحاد السوفيتى من جهة الشمال ، والخليج – الفارسي (٥) وخليج عمـان من الجـنوب ، وافغانســتان وباكســتان من

---

(١) د/ عزيز الله بيات ، كليات جغرافياى طبيعى وتاريخى ايران ، ص ١٢.

(٢) مسعود كيهان ، جغرافياى مفصل ايران ، الجزء الاول – طبيعى – ص ٣ .

(٣)المرجع السابق ، ص ١٢٤.

(٤) دهخدا ، لغتنامه دهخدا ، ص ٥٥٢.

(٥) ويُسمى الخليج العربي ، بحر ايران .

الشرق وتركيا والعراق من الغرب .

وهذه السلاسل الجبلية التي يبلغ أقصى ارتفاعها ١١ر٠٠٠ قدم تحيط بالهضبة الإيرانية وتمتد على شكل مثلث ، تقع قمته في أقصى الشمال الغربي عبر تركيا بينما يمتد ضلعاه جنوباً ، أحداهما وهو جبال البرز من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي ، والآخرجبال زاجروس من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي .

ويمكن أن نقسم سطح الهضبة الإيرانية إلى أربعة أقسام ذات معالم تضاريسية متميزة وهي :

(١) جبال البرز

وتمثل المرتفعات الشمالية ، وهى تمتد من جنوب الإتحاد السوفيتى عبر شمال إيران ، ثم تنقسم إلى سلاسل جبلية أخرى تندفع شرقاً نحو افغانستان ، لذلك فإن سلسلة جبال البرز تنقسم إلى قسمين متميزين كل منهما ذات معالم طبيعية مختلفة .

القسم الأول من هذه السلسلة يمتد مقوساً على هيئة هلال حول ساحل بحر الخرز من شمال غربى ايران حتى تلال تاليش التي تصل بينها وبين جبال القوقاز الروسية .

أما القسم الثاني من سلسلة جبال البرز فهو عبارة عن سلسلة جبلية أقل ارتفاعا من سلسلة جبال القسم الأول يمتد اتجاهها من الشمال الشرقي نحو الجنوب في شكل فروع متوازية ، وبذلك تخالف الإتجاه العام لجبال البرز الذي يسير من الغرب إلى الشرق ، كما يسير في خط الحدود الفاصلة بين إيران وافغانستان مع السفوح الشرقية لهذه السلسلة.

(٢) جبال زاجروس

وهذه السلاسل الجبلية تمتد منحدرة عبر إيران من أقصى شمالها الغربي نحو الغرب ثم الجنوب فالجنوب الشرقي حتى إقليم بلوخستان بباكستان ، وعلى امتدادها يوجد سهل ساحلي محاذ للخليج يدعى " سهل خوزستان" وهو امتداد لسهل العراق .